أيمان العرب في الجاهلية

صناعة أبي إسحاق إبراهيم بن عبد الله

النجيرمي الكاتب

رحمه الله تعالى

نسخه وصححه ووقف على طبعه

محب الدين الخطيب

منشئ مجلة (الزهراء)

نقلاً من نسختي الخزانة التيمورية (٣٦٢ لغة)

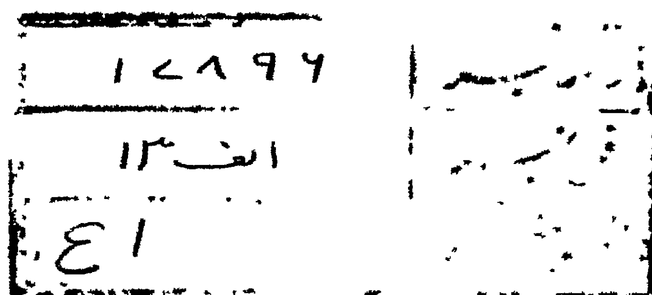
ونسخة دار الكتب المصرية (٢٣٤ مجاميع)

القاهرة ١٣٤٣

عنيت بنشره

المطبعة السلفية ـ ومكتبتها

صاحباها : محب الدين الخطيب وعبد الفتاح قتلان


١٢٨٩٦

بسم الله الرحمن الرحيم

[illegible] وحمده ﷻ وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم

وبعدُ فاني أغتبط اليوم بنشر هذه الرسالة التي ألفها أبو اسحاق إبراهيم بن عبد الله بن محمد النَّجيرَميُّ في :

﴿ أيمان العرب في الجاهلية ﴾

وهي أوفى ما اطَّلعتُ عليه في موضوعها

وقد أفادتنا هـذه الرسالة ـ في جملة ما استفدناه منها ـ أنَّ الحَلْفَ بالله جلَّ وعزَّ كان رأس الأيمان عند العرب، لأنَّ أكثرهم كان على مِلَّة الحنيفية دين أبينا إبراهيم صلى الله عليه وسلم . وقد ورثه آل اسماعيل وأخوالهم من جُرْهُم ومن هبط عليهم بَطحاء مكة من بني خُزاعة وغيرهم . وهي مِلَّة التوحيد التي تغيبَّتْ ـ في المدة القصيرة بين زمن عمرو بن لُحَيّ الخزاعي وبين ظهور النور المحمَّدي العميم ـ بما تشاب به الغثاء عدة ذ [illegible] تعالت عن ينبوعها الصافي

وإن عناية عده [illegible] العربية من سلف وخلف بحفظ الجمع التي

كانت العرب تختارها للحلف بها ، لهي مما يسهّل علينا اليوم ان نتصوّر هذا الجانب من أحوال سُكان أواسط جزيرة العرب ، أيام لم تكن تدُوّن أخبارهم وأحوالهم فى كتاب

المؤلف

والنجيرميّ ـ مؤلف هذه الرسالة ـ من رجال العربية والأدب والتاريخ ، ذكره ياقوت في (معجم الادباء) وفي (معجم البلدان) ، والصفَدي في (الوافي بالوفيات) ، والسيوطي في (بغية الوُعاة) ، والزّبيدي في (تاج العروس) وقال عنه : « . . . مؤلف كتاب (أيمان العرب) وهو عندي بخط قديم . . »

وكان مُقام أبي اسحاق النجيرميّ في مصر ، وتولى فيها منصباً من أجلّ المناصب السياسية يومئذ وهو منصب الكتابة لكافور الاخشيدي (١) القائم بأعباء المملكة المصرية في النصف الاول من القرن الرابع الهجري . والظاهر أن النجيرمي كان من منصبه هذا في طمأنينة وهناء لم يبقيا له بعد كافور ، بدليل رجز صغير له يفيد هذا المعنى ، وسيأتي بعد

وكان النجيرمي ـ فضلاً عن مكانته هذه في ادارة الحكم

(١) أنظر ترجمة كافور في وفيات الاعيان

بوادي النيل ـ مرجعاً في التعليم والإفادة ، وقد ورد في النتف التي تركها لنا المؤرخون من ترجمته أن ممن أخذ العلم عن النجيرمي أبا الحسين المهلَّبي ، وأبا اسامة جنادة بن محمد اللغوي الازدي الهروي [1] الذي قتله الحاكم صاحب مصر سنة ٣٩٩ ، قالوا : وقد أخذ عنه غيرهما كثير من أهل العلم

مؤلفاته

وفي كتب التراجم نقص وتقصير فيما جاءتنا به عن أبي اسحاق النجيرمي ، حتى أنها لم تشر الى شيء من مؤلفاته . وقد رأيت ما نقلناه عن الزبيدي في التاج من ذكر (أيمان العرب) واطلاعه على نسخة قديمة منه ، وذكر ياقوت في مواضع متفرقة من (معجم البلدان) بعض مؤلفات للنجيرمي ، منها (في مادة البريص) كتاب الامالي ، وفي مادة (كفر نجد) أن له تعليقاً ، وقال (في مادة الجابرية) : كذا هو مضبوط فيما كتبت عن أبي اسحاق ابراهيم بن عبد الله النجيرمي . وقال في ترجمة النجيرمي من معجم

(١) روى ذلك ياقوت فى ترجمة النجيرمى من معجم الادباء ، والصفدي في الوافى بالوفيات (٥ : ٣٣ النسخة التيمورية) ، والسيوطى فى بغية الوعاة (ص ١٨٢).

الادباء « قرأت في كتاب من املاء النجيرمي . . . » ولم يسمّ هذا الـكتاب

شعره

ولمؤلف (أيمان العرب) شعر بليغ ، رأيت منه قطعتين : احداهما من القصيد وقد ارتجلها في حضرة كافور الاخشيدي (١) وذلك ان الفضل بن عباس دخل على كافور فقال له « أدامَ اللهُ أيامِ سيدنا الاستاذ » فتبسم كافور الى أبي اسحاق النجيرمي ، فقال ابو اسحاق :

لاغروَ إن لحن الداعي لسيدنا　　وغُصّ من هيبة بالريق والبَهرِ
فمثلُ سيدنا حالت مهابتُه　　بين البليغ وبين القول بالحَصَرِ
فان يكن خفض الايام عن دهش　　من شدّة الخوف لا من قلة البصر
فقد تفاءلتُ في هـذا لسيدنا　　والفألُ نأثُرُه عن سيد البشر
بأن أيامَه خفض بلا نصب　　وان دولته صفوٌ بلا كدرِ

فأمر له كافور بثلاثمائة دينار ، وللفضل بمثلها

والقطعة الثانية من الرجز نقلها ياقوت فى معجم الادباء عن كتابٍ من إملاء النجيرمي لم يسمّه ولعلها من شعره بعـد كافور

(١) ذكرت فى ترجمة النجيرمى من معجم الادباء ، والوافى بالوفيـات وبغية الوعاة ، وفى ترجمة كافور من وفيات الاعيان

قال كاتبها : أنشدني أبو اسحاق وهي له :

بدّلني الدهرُ أميراً معورا
بسيد كان خِضَمّاً كوثرا
اذا شممتُ كفَّه مؤمّلا
شممتُ منه غَمَراً مقتّرا[1]
بما أشمُّ مِسَكاً وعنبرا
يا بدلاً كان لقاءً أعورا

تنبيه الى خطأ

ونسبوا له قطعة ثالثة وليست له ، فقد قال ياقوت : وأنشدهم أيضاً لنفسه :

وإني فتى صبر على الأين والوجى اذا اعتصروا للوح ماءَ فظاظها[2]
اذا ضربوها ساعة بدمائها وحلّ عن الكوماء عقد شظاظها[3]

(١) الغمر : زنخ اللحم . والمقتر من القتار وهو الدخان من المطبوخ

(٢) الاين: الاعياء والتعب . الوجى: الحفا وهو أن يرق الحافر وينسحج اللوح : العطش . الفظـاظ : جمع فظ ، هو ماء الكرش يعتصر ويشرب منه عند عوز الماء في المفاوز

(٣) الكوماء : الناقة الضخمة السنام . الشظاظ : خشبة عقفاء محدودة الطرف تجعل في عروتي الجوالقين اذا عكما على البعير

فانك ضحاكٌ الى كلّ صاحب   وأنطقُ من قُسّ غداة عُكاظها
اذا اشتغب المولى مشاغب مغشم   فعذرةٌ فيها آخذ بكظاظها [1]

والظاهر ان الذين سمعوا هذا الشعر من أبى اسحاق النجيرمي توهموا انه ينشدهم لنفسه ، وحقيقة الشعر أنه لرجل من إياد يذكر عذرة بن حجرة الخطيب الايادي[2] كما نص على ذلك امام الادباء أبو عثمان الجاحظ في البيان والتبيين (١ : ٢٥ الطبعة الثانية)

وفاته

هذا كل ما استطعت معرفته عن أبي اسحاق النجيرمي ، وأنه معاصر لكافور ، ولم يذكر لنا مترجموه سنة وفاته ، الا الصفدى فانه ترك لها بياضاً في آخر ترجمة النجيرمي من الوافي بالوفيات فقال : توفي رحمه الله فى . . . . ثم لم يتيسر له أن يملأ موضع البياض

(١) في البيان والتبيين « اذا شعب المولى مشاعب معشر » أي فرّق طرقهم . الكظاظ : الشدة والتعب فى الامر حتى يأخذ بالنفس ، والممارسة الشديدة في الحرب

(٢) وذكر شاعر أيادي آخر عذرة فقال :

كقس أياد أو لقيط بن معبد   وعذرة والمنطيق زيد بن جندب

النجيرميون

وقد عُرف باسم النجيرمي غير واحد ، منهم يوسف بن يعقوب النجيرمي (٣٤٥ ـ ٤٢٣هـ) وابنه بهزاد بن يوسف وكان مقامهما في مصر أيضاً . قال ابن خلكان في ترجمة يوسف : هو من أهل بيت فيه جماعة من الفضلاء الادباء ، مامنهم الا من هو ماهر في اللغه كامل الادوات متقن لها

نجيرم

قالوا : ونجيرم محلة في البصرة وقريه كبيرة على ساحل الخليج الفارسى دون سِيراف مما يلي البصرة ، وربما قيل لها نجارم، والتجار وأهلها يقولون نيرم فيسقطون الجيم تخفيفاً . قال ياقوت في معجم البلدان : رأيتها مراراً ، ليست بالكبيرة ، ولا بها آثار تدل على انها كانت كبيرة أولاً . فان كان بالبصرة محلة يقال لها نجيرم فهم ناقلة هذا الاسم اليها ـ أي الى القرية ـ وليس مثلها ماينقل منها قوم يصير لهم محلة . يعني ان القريه التى على الخليج الفارسى ينبغي ان تكون سميت باسم المحلة التى فى البصرة

الاصل الذى طبعت عليه

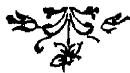
وقد اعتمدتُ على نسختين فى طبع رسالة (أيمان العرب)

احداهما فى مكتبة حضرة العالم المحقق الجليل صاحب السعادة أحمد تيمور باشا (رقم ٣٦٢ لغة) وهى فى عشر صفحات متوسطة الحجم ليس فيها تاريخ كتابتها ، ولا اسم كاتبها ، ويغلب على الظن انها من القرن العاشر الهجري وفيها تحريف كثير ونقص . ويليها تراجم منقولة من كتاب الغنية فى تسمية شيوخ القاضي عياض ومن غيره

والنسخة الثانية فى دار الكتب المصرية (رقم ٢٣٤ مجاميع) وهى فى عشر صفحات أيضاً وتشابه النسخة الاولى فى تحريفها وفى خلوها من التاريخ واسم الكاتب . فاضطررت الى تصحيح كل فقرة فيها من مظانها فى كتب الادب واللغة ونبّهت على أكثر ذلك فى أسفل الصفحات ، وأظنني تمكنت من ردّها الى أصلها الصحيح بقدرما نبلغة الطاقة . والله المستعان ومنه التوفيق

محب الدين الخطيب

منشيء مجلة (الزهراء)



أيمان العرب

بسم الله الرحمن الرحيم

قال أبو أسحاقَ ابراهيمُ بنُ عبدِ الله النَّجيرَمي الـكاتبُ :

كانت العرب في الجاهلية على مذاهبَ : فـكان معظمهم ممن يدين اللهَ[1] (تعالى ذكرُه)، ويتمسَّك بإرثٍ من ملَّة ابراهيم (صلى الله عليه وسـلم) ، ويحجُّ ويتألَّه ويعظِّم الحرَم ، والأشهر الحرُم ، ويضع فيها أوزارَ الحرب ، وان ظفِر بعدوِّه فيها لم يمسسْه بسوء

وكانوا في ذلك أخيافاً [2] : فـكان منهم مَن يستحلُّ في الحرَم المُحَلَّ والمُحَرَّم ، ومنهم من يُحْرِم عن المُحَلّ والمحرَّم ، ومنهم من يُحِلُّ عن المحرَّم ويحرم عن المحَلِّ

قال أبو اسحاقَ : وكان عمرو بن كلثوم التغلبي من المحلّين

قال : وفي كل العرب خصائص تفعل هذا ماخلا طَيِّئاً وخَثْعَمَ ، فانهم كانوا لا يحرمون عن مُحَلّ ولا محرَّم

(١) في النسخة التيمورية « معظمهم من يدين ».

(٢) الخيف (بالتحريك) : ان تكون احـدى العينين زرقاء والاخرى كحلاء . ثم قيل : اخوة أخياف لبني الام الواحـدة اذا اختلفت آباؤهم ، ثم قيل للمختلفين في أي أمر من الامور : هم أخياف ، ومنه هذا الذي نحن بصدده . الواحد أخيف والانثى خيفاء

ومنها طائفة تعبد الأصنام وتزعم أنها تقرِّبهم الى الله عزَّ وجلَّ ، كما ذكر الله عزَّ وجلَّ في قوله « ما نعبدُهم إلاَّ ليُقرِّبُونا إلى الله زُلْفَى » وكما قال أيضاً فيهم « ويعبُدونَ من دُون الله ما لا يضرُّهم ولا ينفعُهم ويقولون هؤلاء شُفعَاؤُنا عندَ الله »

ومنهم طائفة تعبُد الأصنام وتُقسم بها ويزعُمون أنها هي الضارَّة النافعة ، كما ذكر الله عزَّ وجلَّ في قصة ابراهيم عليه السلام وقومه

فالطائفة الأولى تُقسِم بالله تعالى ، والقَسَمُ به عندهم أعظم الأَيمان . ولذلك قال النابغةُ :

حلفتُ فلم أترُكْ لنفسِكَ رِيبةً
وليس وراءَ الله للمرء مذهبُ (١)

وأخبر اللهُ تعالى فيهم بذلك فقال « وأقسَموا بالله جَهْدَ أيمانهم » ويقولون « والله » فانها تملأُ الفم ، وترقئُ الدم . أي تبرئ الظنين بالدم من الدم ، فيرقأ دمه أي يسكن محقوناً في مسكه فلا يراق

(١) يخاطب النعمان بن المنذر في قصيدة بعث بها اليه من الشام مدة اقامته في ضيافة ملوك غسان ، يتنصل مما رمي به عنده ، ويعتذر من مدحه لآل غسان ، ومطلعها :

أتاني ـ أبيت اللعن ـ أنك لمتني وتلك التي أهتم منها وأنصب

ومنه قولهم « لا تسبُّوا الابل فان فيها رَقُوءَ الدم [1] » أي، أنها تعقل في الديات فترقأ بها الدماء المحقونة بالاراقة

ومنه قولهم « لا رقأت [عَبْرَتُه [2]] » أي لاهدأت

وبعضهم يقول « وتقطع الدم » أي يبرأ بهـا الرجل من الدم فيرقأ دمه

وقد قيل : ان القوم اذا اصطلحوا بعـد حرب وتحالفوا بالله. الأجلّ رقأت دماؤهم أي هدأت

ومن أيمانهم « لا والذي يراني من فوق سـبعة أرقعة » أي. من فوق سبع سماوات . ثم خصوا السماء الدنيا بهذا الاسم . والرقيع مذكر . وقيل يسمى رقيعاً لأنه رقع بالنجوم. وتقول العرب « لا أفعل ذالك ولو نزوتُ في الرقيع » كقولهم « ولو نزوت في اللوح ».

---

(١) تنسب هـذه الكلمة الى أكثم بن صيفي أحد حكماء العرب وخطبائها وحكامها وهو صحابي أوتابعي • ونسبت الى قيس بن عاصم المنقري الحكيم الصحابي. رضي الله عنه في وصية كتب بها الى طيء وهي « لا تسبوا الابل ، فانها رقوء الدم ، ومهر الكريمة ، وبألبانها يتحف الكبير ويغذى الصغير ، ولو ان الابل. كلفت الطحن لطحنت » نقله الزبيـدي في التاج عن شروح الفصيح . وقال. المفضل الضبي :

من اللائي يزدن العيش طيباً وترقأ في معاقلها الدماء

ووردت الكلمة في أكثر كتب اللغة والادب

(٢) الزيادة من التيمورية

و « لا نزوت في الشكالة » . وفي حديث النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال لسعد [بن مُعاذ لما حكم في بني قُريظة « لقد حكمتَ فيهم بحكم الله من فوق سبعة] [١] أرقعة »

ومن أيمان هؤلاء « لا والذي شقّ الرجالَ للخيل ، والجبال للسيل [٢] » . والمعنى : لا والذي خلق الرجال على هذه الخلقة . هذا معنى « شق » هاهنا . وهو كتسميتهم خروق البدن شقوقاً

وعلى هذا المذهب انما قولهم « لا والذي شقهنّ خمساً من واحدة [٢] » يعني أصابع يده إذا حلف فرفع يده وفرّق أصابعه

ومن أيمان هؤلاء أيضاً « لا والذي وجهي زَمَم بيته [٢] » أي نحو بيته ومواجه بيته . ويقال « مرّ بهن على زمم طريقك » كأنه مزموم نحوه

ومنها أيضاً « لا والذي لا يواريني منه خَمَر » . فالخمر ماوارك من شجر . المعنى : لا يواريني منه شيء . وانما ذكر الخمر لأن من شأنهم التواري في الخمر

(١) الزيادة من نسخة دار الكتب المصرية . وورد الحديث في النهاية لابن الاثير (مادة رقع)

(٢) ورد في المزهر (٢ : ١٦٨ الطبعة الثانية) عن كتاب المثنى لابن السكيت وفي ذيل الامالي والنوادر لابي علي القالي (ص ٥١) وفي المخصص (١٣ : ١١٨)

ومثله « لا والذي لا يواريني منه غيب » والغيب كل ما وارالك من شيء: من شجر ، أو جبل ، أو حائط ، أو غير ذلك [١]

ومنها أيضاً « لا والذي لا يُتَّقَى بوجاح » أي لا يستر منه وجاح فيتقى به . والوجاح كل ما حال بينك وبين شيء من ستر أو ثوب أو حائط أو غير ذلك . ومنه « ثوب موجَّح » أي صفيق جداً

ومنها أيضاً « لا والذي لا أتقيه إلا بمقتلهِ [٢] » أي كيف رمت أن أتقيه فهناك المقتل

ومنها « لا والذي أخرج العَـذق من الجَرِيمة ، والنار من الوَثيمة [٣] » العَذق النخلة والجريمة التمرة المجرومة أي المصرومة

(١) ومنه سميت الاجمة ذات الشجر المتكاثف غابة لانها تغيب ما فيها

(٢) في التيمورية « بمقلته » ، وفي نسخة دار الكتب المصرية « بمقتله » وكذلك في المزهر (٢ : ١٦٨) عن كتاب المثنى لابن السكيت وفي المخصص (١٣ : ١١٨) . وأورد القالي (٣ : ٥١) روايتين احداهما « بمقتله » أي كل شيء مني مقتل من حيث شاء قتلني ، وهى رواية ابن الاعرابي في النوادر . والاخرى « لا والذي لا اتقيه الا بمقلتة » من القلت وهو الموت أي الموت فى عنقي فكل شيء حتف

(٣) ورد في النهاية لابن الاثير (عذق ووثم) وفي تاج العروس في المادتين ونقل القالي فى أماليه (١ ; ١٠٢) وصاحب لسان العرب (وثم)والزبيدي في التاج عن محمد بن السائب الكلبي ان الاوس بن حارثة عاش دهراً وليس له ولد الا مالك ، وكان لاخيه الخزرج بن حارثة خمسة اولاد ـ عمرو وعوف وجشم والحارث وكعب ـ فلما حضره الموت قال له قومه :

— قد كنا نأمرك بالتزويج في شبابك ، فلم تزوج حتى حضرك الموت . . .

وأراد النواة ، [(١) والوثيمة فلقة أي قطعة من حجر تثمه أي تكسره من قولك وثم يثم وثماً أي كسر . ومنه قول عنترة :

تَطِسُ الإِكامَ بوقعِ خُفٍّ مِيثَمِ (٢)

يصف خف ناقته أي مدق مكسرها

ومنها أيضاً « لا والذي فلق الحبَّة ، وبرأ النَّسمة (٣) » فلق الحبة أي شقها في الارض حتى تنبت ، ثم أثمرت فكان منها حبٌّ كثير . وكل شيء شققتَه باثنين فقد فلقته . قال : والنسمة كل نفس ذات نفَس فهي نسمة . وسميت نسمة لتنسمها الهواء

ومنها أيضاً « لا والذي سَمَكَ السماء »

....

فقال الاوس : ـ لم يهلك هالك ، ترك مثل مالك . وان كان الخزرج ذا عدد ، وليس لمالك ولد ، فلعل الذي استخرج العذق من الجريمة ، والنار من الوثيمة ، أن يجعل لمالك نسلا ، ورجالا بسلا ... الخ

(١) النسخة التيمورية ناقصة من هذا الموضع الى موضع الاشارة في ص ١٩

(٢) هو من المعلقة ، وصدره :

« خطارة غبّ السرى زيافة »

ويروى « بذات خف » والوطس: الضرب الشديد . وخف ميثم : أي شديد الوطء

(٣) أورده الراغب في محاضرات الادباء (١ : ٣٠٠ الطبعة الاولى) وابن الاثير في النهاية (نسم وفلق) وقالا : كان من حلف أمير المؤمنين علي كرم الله وجهه

ومنها أيضاً « لا والذي يراني من حيث ما نظر [1] »

ومنها أيضاً « لا وفالق الآصباح [2] ، وباعث الارواح » يريد جمع روح

« لا ومُجري الرياح »

و « لا [و] مجري الالاهة » وبعضهم يقول « الاهة » يجعلها معرفة علماً هي اسم الشمس التي تعبدها [3] ولذلك سموا (عبد شمس) و (عبد الشارق) كما سموا (عبد الله) و (عبد الرحمن)

ومنها أيضاً « لا يأتمر له جُدولي » . قال : الجدُول الأعضاء ، واحدها جِدْل ومعنى هذا : ان أعضائي كلها جند لله تعالى عليّ

ومنها أيضاً « لا ومُنزل القَطر »

وبعضهم يقول « لا ومُقَطّـِع القَطر [4] » لأنه ينزل [5]

(١) نسخة دار الكتب المصرية « ما نظرت » . وصححته من أمالي القالي (٣ : ٥٢) ، ومما جاء في المزهر (٢ : ١٦٨) عن ابن السكيت في كتاب المثنى ، ومن المخصص (١٣ : ١١٨)

(٢) في امالي القالي وفي المزهر والمخصص

(٣) في تاج العروس : والالاهة الشمس غير مصروف بلا الف ولا لام وربما صرفوا وأدخلوا فيه الالف واللام وقالوا الالاهة . قال الجوهري وأنشد أبو علي :

فأعجلنا الالاهة أن تؤوبا

(٤) في أمالي القالي (٣ : ٥١) . وفي المخصص (١٣ : ١١٨) القطرة

(٥) أظن هنا كلمة أو كلمات سقطت من الاصل

« لا ومميت الرياح [١] » لأنهم يقولون باماتة الريح

« لا ومُجري البحر »

« لا ومنشيء السحاب »

« لا والذي دَحَى الأرض » أي مدّها وبسطها

« لا ومميت الرياح[٢] » لأنهم يقولون ماتت الريح اذا سكنت .

قال الراجز :

إني لأرجو أن تموتَ الريحُ
فأقعد اليوم وأستريحُ

« لا والذي سجد له النجم والشجر » النجم من النبات ما نَجَم منه وانفرش على وجه الارض ولم يرتفع عنها بساق

« لا والذي حجت له العمائر » جمع عمارة وهي الحيّ الكبير

« لا والذي ذابت له الشعور »

« لا وفاطر الأشباح » يريد جمع شَبَح وهو الشخص

لا والذي يرصدني أنَّى سلكت » من قوله عزّ وجل إن ربّك لبالمرْصاد »

« لا وربّ الشمس والقمر »][٣]

(١) في المزهر عن ابن السكيت
(٢) ورد فى الاصل هكذا مرة ثانية ، وقد تقدم آنفا
(٣) آخر الناقص من نسخة الخزانة التيمورية وأوله في ص ١٧

« لا وربِّ البيت والحَجَر[1] »

« لا والذي أخرج الماء من الحجر ، والنار من الشجر »

« لا ورازق الأنام »

« لا ورب النور والظلام »

« لا ورب الحلّ والحرام » قال مُهلهِل :

قتلوا كُليباً ثم قالوا ألا اربعوا كذبوا ورب الحِلِّ والاحرام

« لا والذي أمْنه من كل أوب » أمنه يعني الابل ، أضمرها ولم يجر له ذِكر ، وهذا على عادتهم في مثله . من كل أوب أي من كل مسلك ومن كل طريق يأُوب منه الآيبون

« لا والراقصات ببطن مَرّ[2] » يعني الراقصات بركبانهنّ

« لا والذي رقصن ببطحائه[3] » رقص وأرقص لغتان .

والابطح والبطحاء ما انبطح واتسع من بطن الوادي وهو خير

(١) البيت : الكعبة ، بيت الله الحرام . والحجر : الحجر الاسود في الركن الشرقي من أركان الكعبة

(٢) بطن مر : من نواحي مكة على ليلتين منها ، قال ياقوت : فيه عيون كثيرة ونخل وجميز ، ويقال له (مر الظهران) وفيه يجتمع واديا نخلة الشامية من منازل هذيل فيصيران واديا واحداً

(٣) أورده القالي (٣ : ٥٢) والسيوطي في المزهر (٢ : ١٦٨) عن ابن السكيت ، وابن سيده في المخصص (١٣ ١١٨)

« لا والراقصات ببطن جَمْع[(١)] »

«لا والذي نادى الحجيج له[(٢)] »

« لا وقائتي نفَسي[(٣)] » أي الذي جعل نفسي قُوتاً لمدة حياتي .

قال : ويقتاته يذهب به شيئاً بعد شيء ، كما قال طفيل :

يقتاتُ فضلَ سَنامها الرَّحْلُ

أي ينقصه الرحل شيئاً بعد شيء ، فكأنه له بمنزلة القوت حتى يأتي عليه

قال : وبعضهم يقول « لا وقائت نفَسي القصير[(٤)] » يريد قصر العمر

ومنها قولهم « يمين الله لقد كان كذا » و « أيمن الله » قال نُصيب :

(١) جمع : هي المزدلفة ـ بين عرفات ومنى ـ يجتمع الناس فيها ليلة الافاضة من عرفات ، ثم يستأنفون السير الى منى في الصباح . وقد ورد هذا اليمين في أمالي القالي والمزهر والمخصص

(٢) القالي (٣ : ٥٢) والمزهر (٢ : ١٦٨) والمخصص (١٣ : ١١٨)

(٣) فى أمالى القالي وفي المزهر عن ابن السكيت وكذلك فى المخصص (١٣ ١١٨) « لا والذي يدوتي نفسي » وفى تاج العروس (قات) : لاوقائت نفسي

(٤) كذا في الموضعين من أمالي القالي والمزهر وفى المخصص (١٣ : ١١٨) . قال القالي : القائت من القوت يعطيه قليلا قليلا . وفى تاج العروس (قات) « لا وقائت نفسي البصير » وفى النسخة التيمورية لاوقايتي نفسى القصير . وفي نسخة دار الكتب المصرية : لاولايتي نفسي القصير

وقال فريق أيمن الله ما ندري

و« أيم الله . . » و « أَيم الله . . » و« م الله لقد كان ذاك ».

وقال يونس النحوي : أهل اليمامة يقولون « أمُ الله » وقال آخرون « أيُمن الله ، وأيمَن الكعبة » كأنه جمع يمين

ومنها « عمرك الله هل ذاك ؟ » والمعنى عمرتك الله ، أي سألت الله تعميرك ، وهو معنى قول العامّة « بالذي يعمرك » . قال ابن الاعرابي عمرُكَ الله بالرفع ، والنصب الوجه ، وعليه رواة أهل العربية . وقال آخرون « عمر الله »

ومنها أيضاً « قعدَك الله » و« قَعِيدَك الله(١) » وقالوا أيضاً « قعدك لأفعل ذاك » و « قعيدك . . . » قال متمم بن نُوَيرة :

قعيدَكِ أن لا تسمعيني مَلامةً فلا تنكإي قَرح الفؤاد فيَيجعا

ومعناها أخصب الله بلادك حتى تكون مقيما فيها قاعداً غير منتجع

ومنها « لا ورافعها بغير عمد ، لا وسامكها ، لا وباسطها — يعني الارض — لا وماهدها ، ودلحيها » يعني الارض

« لا والذي أمدّ اليه بيد قصيرة (٢) » أي بسعي قصير ومنه « اليد العليا خير من اليد السفلى »

(١) المزهر (٢ : ١٦٨) عن ديوان الادب للفارابي والمخصص (١٣ : ١١٧) عن أبي عبيد (٢) القالي ٣ : ٥٢ والمزهر ٢ : ١٦٨ والمخصص ١٣ : ١١٨

« لا والذي نادى الحجيج [له] [١] » أي من أجله ، أي دعوه

« لا والذي كل الشعوب تدين له » ويقال أيضاً تدينه [٢]

« لا والذى يراني ولا أراه» [٣]

أبو زيد : قال العقيليون « حرام الله » كقولهم يمين الله [٣]

باب آخر

وأما عبدة الاوثان فانهم كانوا يقسمون بها ، كقولهم « لا واللات والعُزّى [٤] ، لا ومَناة »

وربما أقسموا بما يُعْتَر لها [٥] . وقد فرغ ابن الكلبي من أسماء الاصنام في كتاب الاصنام [٦] ، فأغنى ذكر ذلك ها هنا

(١) تقدم (٢) والثانية رواية وردت فى أمالي القالي والمزهر والمخصص

(٣) المزهر والقالي والمخصص

(٤) في صبح الاعشى (١٣ : ٢٠٣) ان اكثر حلف عرب الحجاز كان باللات والعزّى

(٥) قال ابن الاثير في النهاية : كان الرجل من العرب ينذر النذر يقول اذا كان كذا وكذا ، أو بلغ شاؤه كذا فعليه ان يذبح من كل عشرة منها في رجب كذا . وكانوا يسمونها العتائر وقد عتر يعتر عترا اذا ذبح العتيرة . وهكذا كان في صدر الاسلام وأوله ثم نسخ . قال الخطابي : العتيرة تفسيرها فى الحديث أنها شاة تذبح فى رجب . . وأما العتيرة التى كانت تعترها الجاهلية فهي الذبيحة التى كانت تذبح للاصنام فيصبّ دمها على رأسها

(٦) عنى الأستاذ العلامة أحمد زكى باشا بتصحيح كتاب الاصنام لابن الكلبي وتحقيقه والتعليق عليه . وسيصدر قريبا من مطبعة دار الكتب المصرية

وقد أقسمت العرب بالماء والسماء والنجوم . كقولهم « لا والسماء ، لا والماء ، لا والآيبات ، لا والطارقات ، لا والراكعات » وكقولهم « لا والسابحات » السابحات النجوم . ومنه قول الله تعالى « وكلٌّ في فلك يسبحون » . والآيبات النجوم اذا تصوّبت للمغيب ، يقال منه آب النجم . والطارقات النجوم اذا طرقت أي طلعت . والراكعات اذا زالت عن كبد السماء

« لا ونفنف اللُّوح ، والماء المسفوح ، والفضاء المندوح ، والنور الموجوح » أي المحجوب . النفنف ها هنا ما بين السماء والارض وكل هواء بين رأس جبل الى أسفله فهو كذلك . واللُّوح الهواء بين السماء والارض ، وأضاف النفنف اليه . والمسفوح المصبوب. وعنى به البحر . والفضاء يعنى الارض . والمندوح الموسع . وكأنهم عظَّموا هذه الاشياء لأن بها قوام العالم

﴿ باب آخر ﴾

يقولون « قسَماً لأفعلنّ ذاك ، ويميناً ، وأليَّة ، ونحباً ، وعهداً ، ونذراً ، وموثقاً ، وميثاقاً ، وحقاً [١] ، ولحقًّا ، وليميناً ، ولقسَماً » . وقال آخرون « لحقُّ لأفعل » يرفعون بغير تنوين مع اللام [٢] .

(١) في الاصلين حنفاً ولم أجد له معنى وجيها (٢) المزهر ٢ : ١٦٨ والمخصص ١٣ : ١١٦

والنحب النذر . وأنشد :

قضيتَ نحباً وجعلتَ نذرا [1]

والإصر العهد . ومن أيمانهم « بإصر وأصر ليكوننَّ ذاك »
وأنشد :

باصر يتركني الحي يوماً   رهينة دارهم وهم سراعُ

ومعنى إصر : حَتْم لازم . كما قال يلزم العهد وكما يلزم اصرة الرحم . ومنه الاصر الثقل لأن اللازم الواجب يثقل كأنه قال : حقاً ليتركني الحي . ومنه قوله :

فان أكبر فلا بأطير اصر   يفارق عاتقي ذكرٌ خشيبُ

أُطيرٌ : فعيل من أطرَه يا طره أطراً إذا عطفه والمعنى ان عليَّ اصراً يعطفني على أن لا افارق هذا السيف . وهذا كقولك أقسمت انما وقع علي الفراق فصار الفراق منفياً

والالّ : العهد ، وهو أيضاً من أسماء الله تعالى . وهو الرحم أيضاً . ويوشك أن يكون انما اشتمل على هذه المعانى الثلاثة ، لان العهد سبب منوط بسبب الله عز وجل ، ولأن الرحم شجنة من الله عزّ وجلّ .ومعنى شجنة من الله سبب منوط من الله عز وجل [2]

(١) قولهم قضي نحبه كأنه ألزم نفسه أن يقاتل حتى يموت
(٢) الشجنة : الشعبة من كل شيء . يقال بينهما شجنة رحم ، كأنها حبل من حبال صلته

﴿ باب ﴾

قال أبو عبيدة : « أوذَمَ فلان يميناً » اذا أوجب على نفسه يميناً . وأوذم فلان بالحج ، وأوذم بحجة كانه ناط على نفسه بحجة كأنياط أوذام الدلو [1]

وكذلك « أبدعَ يميناً ، وأبدع بالحج ، وبحجة » أوجبها على نفسه

وقال ابن الاعرابى : « لاوالذى أُكتعُ له » أى أحلف به . ومعنى أُكتع أوكد لانه وكَّد قوله باليمين من قولهم أجمعون . اكتعون

أبو عبيدة « جيرِ [٢] » فى الايجاب بمعنى نعم وأجل . ويمين أيضاً . وقالوا « لاجير » بمعنى جير كما قالوا : لا أُقسِم

الكسائى : عَوْضَ وعَوْضُ [٢] . الامويّ : عوضَ ومن ذى عوضَ . وقال أبو عمرو عوض من اسماء الدهر ، فكثر فى كلامهم حتى حلفوا به

ومن أيمانهم « لا وجدِّك » أُقسم بجده الذي هو حظه [٣]

(١) أوذم السقاء اذا شده بالوذمة وهو السير

(٢) المزهر ٢ : ١٦٨ والامالي ٣ : ٥٢ والمخصص ١٣ : ١١٦

(٣) المخصص ١٣ : ١١٦ . ولا يزالون في دمشق يقسمون بالحظ فيقول أحدهم « بحظي »

كما يقسم بعمره اذا قال «لعمرك» وكما تقول« وعيشك » . فاذا قال « أجِدَّك » بمعنى أمُجِدٌّ أنت كانه قال أتجِدُّ جداً فى هــذا القول ، فاضاف اليه الجِد وخرج عن باب اليمين

وقالوا « صبَرَه يميناً يصبرُه صبراً » والصبر الحبس ، كانه حبسه عنها [1]

وقالوا « ألتَه يميناً يألته ألتاً » ومنه قول الله تعالى « لا يألتكم عن أعمالكم شيئاً » أى لا يحبس ولا يؤخر

وقالوا « حلف بالغَمُوس[2] » أى بيمين تغمسه فى الاثم

وقالوا « لا خير فى يمين لا مَخارِم لها » أى لا مخارج لها . والخرم مقطع أنف الجبل ، وهو الطريق فيه فشبَّهوا التأوُّل فى المخلص من اليمين به . ويوشك ان يكون انما خصُّوا المخرم لانهم شبهوا اليمين بالجبل استثقالا لها فسمُّوا مجازها بمجاز الجبل

وقالوا « يمين جلواء ، وحلفة جلواء ، وبينة جلواء » أى ينجلي بها الحق وينكشف . وأنشد :

لــكل أمر واقع أحناء

(١) المخصص ١٣ . ١١٦ (٢) المخصص (١٣ : ١١٦) . وقال الخطيب الشربيني في تفسيره : اليمين الغموس هى ان يحلف على أمر ماض أنه كان ولم يكن . وفي محاضرات الراغب (٢٩٨.١) وقال النبي صلى الله عليه وسلم« اليمين الغموس تدع الديار بلاقع »

شهادة أو حلفة جلواء
به تقوم الارض والسماء
وكل شيء غير ذا عداء

وأحناء الامر أراد به أركانه، أخذ من أحناء الرحْل، الواحد حنو. والعداء الظلم. والمعنى ان كل شيء مرتفع فيه تنازع فهذه سبيله. قال زهير:

فان الحقّ مقطعه ثلاث: . يمينٌ أو نفار أو جلاء [1]

فاليمين معروفة، والنفار المنافرة الى الحكام وهى المحاكمة اليهم ليفصلوا بالحق، والجلاء البينة التى تجلو الشك والشبهة فتغني عن اليمين وعن التحاكم. واذا حلف الرجل قالوا له: جلا أبو فلان، وتحلَّلْ ابا فلان [2] أي استثن [3] أى قل ان شاء الله. وربما

(١) كان عمر بن الخطاب أمير المؤمنين رضي الله عنه يعجب من حسن هذا التقسيم ويردد بيت زهير من التعجب. ورووا عنه أنه قال: لو ادركته لوليته القضاء لمعرفته بما تثبت به الحقوق انظر البيان والتبيين ١ : ١٣٥ والصناعتين ٢٦٨ والعمدة ١ : ٣٠ وشرح بانت سعاد لابن هشام ١٦ (مصر سنة ١٣٢١) وغيرها (٢) فى الاصلين « وتحدل أبا فلان » وصحته من قول الراغب في المحاضرات (١ : ٣٠٠) : كانت العرب تسمى الاستثناء في اليمين « التحليل » . قال الشاعر: تحلل أبيت اللعن في قول آثم
وقال: واذا حلفت ممارياً فتحلل
وقال تعالى « تحلة أيمانكم »

(٣) ومن هنا سموها « المثنوية » المخصص (١٣ : ١١٥) . ٤٠.
محاضرات الراغب (١ : ٣٠٠) عن النابغة:
حلفت يميناً غير ذي مثنوية

قالوا ذلك على سبيل الاستعطاف للحالف والرفق به . وربما قالوا على سبيل الهزء منه

ويقال « حلف حلفاً ، وحلفة واحدة »

وقالوا « أقسم بالله » وأصله أنه وصل بالله تعالى الى قسم من الاقسام حلف به ، ثم كثر هـذا واتسع . والقسم مذكر ، يقولون « اقسم بالله قسَماً صادقاً ، وقسماً باراً »

وقالوا « آلى يؤلى ايلاء[1] »

وأصل « اليمين » أنهـم كانوا اذا تحالفوا وتعاقدوا تصافقوا بأيمانهم ، ولذلك قيل « أعطاه صفقة يمينه علي هذا الامر[2] » ثم سموا الحلف يميناً على ذلك المعنى . وأنَّثوا اليمين على تأنيث اليد فقالوا « حلف يميناً برَّةً ، ويميناً فاجرة »

قال أبو عبيدة : كانوا فى الجاهلية الأولى اذا تحالفوا وتعاهدوا أوقدوا ناراً ودنوا منها حتى تكاد تحرقهم ، وعدَّدوا منافع النار ودعوا علي ناقض تلك اليمين ، والناكث لذلك العهد ، بحرمان تلك المنافع ، ويتصافحون عندها ويقولون « الدم الدم ، والهدَم الهدم[3] » والمعنى دماؤنا دماؤكم وهدمنا هدمكم ، والهدم اسم البناء

(١) انظر ص ٣٢ (٢) النهاية لابن الاثير (صفق)

(٣) النهاية لابن الاثير (هدم) والحيوان للجاحظ (٤ : ١٥٠) ولسان العرب (هدم)

المهدوم ، أي فما هدم لكم من بناء أو شان فقد هدم لنا وما أريق لكم من دم فقد أريق لنا ، يلزمنا من نصرتكم ما يلزمنا من نصرة أنفسنا . وعَبَروا على استعمال ذلك يتوارثونه الى ان أتى الله تعالى بالاسلام، وكان الحلف بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين الانصار فقال صلوات الله وسلامه عليه لهم « الدم الدم والهدم الهدم »

وكانوا يقولون « عهدا لا يزيده طلوع الشمس إلا شدًّا ، وطول[1] الليالى إلا مدًّا »

و « ما بلّ بحرٌ صُوفة[2] » و « ما أقام رَضْوَى[3] »

وربما دنوا من النار حتى تكاد تمحشهم[4] ، أو تكاد تحرقهم . ويهولون بها على من يستخف بحقوقها ، ويتوعّدونه بحرمان منافعها ومرافقها[5]، وفى ذلك نكد العيش وحرمان الحياة

ويسمون الرجل القيم بأمر تلك النار « المهوِّل »[6] وقد ذكرته الشعراء . قال الكميت :

(١) في الاصل « وطلوع » وصححته من الحيوان (٤ : ١٥٠)

(٢) في تاج العروس : وصوفة البحر على شكل هذا الصوف الحيواني . ومن الابديات قولهم « لا آتيك مابل البحر صوفة » حكاه اللحياني

(٣) الحيوان ٤ : ١٥٠. ورضوي جبل بين المدينة وينبع (٤) الحيوان (٤ : ١٥٠)والمخصص(٣:١١٥) والنهاية ولسان العرب وتاج العروس وغيرها

(٥) المخصص ١٣:١١٥ (٦) الحيوان ٤ : ١٥٠

كهولة ما أوقد المحلفون لدى الحالفين وما هوّلوا [١]

[و] قال أوس [بن حجر] وذكر عَيْراً قائما فوق نشز :

اذا استقبلته الشمس صدَّ بوجهه كما صدَّ عن نار المهوِّل حالفُ [٢]

وكان من شأنهم اذا تحالفوا أن يغمسوا أيديهم فى الدم ، وما زالوا على ذلك الى أن كان الحلف الواقع مشهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو حلف المطيَّبين وحديثه معروف [٣]

وكانوا ربما تعاقدوا وتعاهدوا على الملح . والملح عندهم شيئان : ملح الادام التى يتملح بها ، واللبن . وذلك أنه سواء عندهم [أن يجتمعوا على طعام وملح ، أو على شرب لبن . هـذا عندهم [٤]] ممالحة . ولذلك سموا اللبن ملحاً فقالوا من البابين جميعاً « بيننا ملح » وعلى هذا قال أبو الطمحان القيني :

وانى لأرجو ملحها فى بطونكم

وما بسطت من جلد أشعث أغبرا [٥]

أي سمَّنتْهم هذه الالبان بعد الهزال . وقال شتيم بن خُويلد :

لا يبعد الله رب العباد والملح ما ولدت خالده [٥]

(١) محاضرات الرغب (١ : ٣٠٢) والبيان والتبيين (٣ : ١) والحيوان (٤ : ١٥٠) . (٢) البيان والتبيين (٣ : ١)

(٣) النهاية لابن الاثير (مادتا غمس ، وطيب)

(٤) الزيادة من التيمورية (٥) الحيوان للجاحظ (٤ : ١٥١)

وأما كهان العرب فانهم كانوا يقسمون بالسماء والماء ، والارض والهواء ، والنور والضياء ، والظلمة ، وبغير ذلك مما هو موجود في أخبارهم ، كما أقسم سواد بن قارب الدّوسى : « أقسمُ بالضياء والحَلَك ، والشروق والدَّلَكْ [1] » وهى كثيرة موجودة في كتب أخبارهم

﴿ باب ﴾

يقال آلى فلان يؤلي إيلاءً . قال : والاسم الأليَّة . فاذا قيل آلى يفعل ، وآليت أفعل ، فهو قسَم على ترك الفعل ، لأن اليمين بمنزلة النفى للفعل حتى يأتى باللام التى هى آلة للقسم ، كقولك آليت لافعلن . وكذلك قولك والله أفعل وأقسمت أفعل . وهذا مما يغالَط به ويجوز على كثير من الناس . وعلى هذا قول المتلمس :

آليت حَبَّ العراق الدهرَ أطعمه والحبُّ يأكله فى القرية السوسُ

هذا آخر ﴿ أيمان العرب ﴾

[illegible] وحده ، وصلاته على خيرته من خلقه

سيدنا محمد وآله وصحبه

وسلم تسليماً كثيراً

(١) محاضرات الراغب (١ : ٣٠٢)